مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي
ISSN 1112-9255
المجلد7،العدد3 – ديسمبر 2020
OEB Univ. Publish. Co.

المُتَلَقي/ المُرسلُ إلَيه وَ فَاعليَتُهُ في تَحقيق انسجَام الخطابات الأَدَبية .

The recipient and its effectiveness in achieving the harmonious literary discourse

جمال بن جديد* ، المركز الجامعي صالحي أحمد ،النعامة، الجزائر.
bendjdiddjamel@gmail.com
صباح لخضاري، المركز الجامعي صالحي أحمد ،النعامة، الجزائر.
s.hamidou@yahoo.fr

تاريخ التسليم:(2020/03/30)، تاريخ المراجعة:(2020/04/23)،تاريخ القبول:(2020/05/10)

ملخص :

يمثّل المتلقي /المُرسل إليه الّركن الثالث من أركان العملية الإبداعية (المؤلّف،المؤلَّف،المتلقي)، فلقد أهتمّ النقاد المعاصرون بالمتلقي شديد الاهتمام فقدّموا فيه الدراسات الجادة و الترجمات المتميّزة ، خصوصا في مرحلة ما بعد البنيوية (post modernisme)،بينما لم يُهتم بالمتلقي (المرسل إليه) كما ينبغي ضمن آليات انسجام النص الدلالي في الدراسات اللّسانية إلا ضمن عنصر التأويل المحلي، فللمتلقي (المرسل إليه) دور أساسي و فعّال في خلق انسجام النص، وتحقيق تماسكه الدلالي.

و ما يرومه هذا البحث الموسوم بـ"المتلقي /المرسل إليه و فاعليته في تحقيق انسجام الخطابات الأدبية "الوقوف لدى المتلقي كعنصر فعال يسهم في عملية التفسير

و بناء معنى متماسك للنص و من خلال ملء للفراغات التي يتركها الناص عن عمد أو عن غير عمد في نصه مبرزين هذا العنصر الفعال الذي لم يذكر صراحة ضمن عناصر الانسجام الدلالي للخطابات الأدبية .

الكلمات المفتاحية: المرسل إليه، انسجام، تماسك دلالي، التواشج اللساني النقدي .

Abstract :

The recipient / recipient is the third pillar of the creative process (the author, the author, the recipient). Contemporary critics have been very interested in serious studies and translations, especially in the post modernism. Has been explicitly mentioned within the mechanisms of the harmony of the semantic text in the linguistic studies except within the local interpretation element, the recipient has a fundamental and effective role in creating the harmony of the text and achieving its semantic coherence.

The recipient has an essential role in the process of interpretation and the construction of a coherent meaning of the text, no less than the role of the producer, which produces text in a single texture. It is what happens to the meaning by giving the dictionary meanings and absent or absent meanings after reading the text and linking the elements Constructivism within dialectical relations that refer to what is outside and reveal the signs in the processes of disassembly and structure. In this hidden link which is the recipient lies the intimate relationship between language and literature and criticism.

Key words: consignee, recipient, harmony, semantic cohesion, immersion of literature and criticism of language.

* **المؤلف المراسل: جمال بن جديد ،الإيميل: bendjdiddjamel@gmail.com**

مقدمة:

مرّ النقد الأدبي في الغرب عبر عدّة مراحل كبرى، ويمكن حصرها في مرحلة الذوق مع الانطباعيين ، تلتها مرحلة التأريخ الأدبي ثم مرحلة علم النفس، ثم مرحلة المرجع الاجتماعي، وصولا إلى مرحلة أكثر نضجا ووعيا بخصوصية النص الأدبي مع المناهج النسقية (النصية) كالشكلانية والبنيوية والأُسلوبية ...الخ . وبعدها انتقل النقد إلى مرحلة ما بعد البنيوية الّتي ركّزت على مجموعة من المفاهيم والقضايا مثل : التأويل والتفكيك والتلقي والجمالية والجنوسة... وغيرها.

فعلى نقيض التيارين الكبيرين السابقين (السّياقي و النّسقي) تمّ الالتفات إلى ذلك الطرف المنسي وتم الالتفاف حوله وحملُه ليعتلي العرش الأثير بفضل النظرية الألمانية ونظريات القراءة ، وهكذا أصبح المتلقي رقما هاما في المعادلة النقدية وعاملا لا يمكن إغفال دوره المباشر في إدراك النص الأدبي وفهمه –على حسب تعبير الدكتور لخضر بوخال– فهو من يسهم في عملية التفسير وبناء معنى متماسك للنص،لا يقل عن دور المنتج، الذي ينتج نصا بنسيج واحد. فهو الذي يحدث عنده المعنى وذلك بإعطائه للملفوظ المعاني والدلالات الغائبة أو المغيّبة، بعد قراءته للنص وربط العناصر البنائية ضمن علاقات جدلية تحيل إلى ما هو خارجها والكشف عن الدلالات في عمليتي التفكيك والتّركيب . وفي هذا الرباط الخفي الذي هو المتلقي تكمُن العلاقة الحميمة القائمة بين اللغة والأدب والنقد.

ومن جهة ثانية لقد سعت الدراسات اللغوية الحديثة وبالتحديد لسانيات النص إلى البحث في عناصر اتساق وانسجام النصوص والخطابات الأدبية، وبالتالي المعايير التي تحقق نصية النصوص /الخطابات على مستوى بنيتيها السطحية

والعميقة، ولكي يكون الخطاب/النص منسجما لابد من وجود عناصر تحقق ذلك منها: السياق ،البنية الكلية ،التأويل المحلي ، مساهمة المتلقي /المرسل إليه .....الخ

وبالتالي سنتحدث في هذا المقال عن حلقة مهمّة هي المرسل إليه/المتلقي وعمله كآلية من آليات الانسجام الدلالي للنصوص والخطابات الأدبية ، وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية : فيما يكمن دور المتلقي في تحقيق الانسجام الدلالي للنصوص الأدبية ؟ وأين تكمن تلك العلاقة بين اللّغة والأدب والنقد ؟

وهل يمثل المرسل إليه تلك الحلقة التي تجمع بين النقد(نظرية التلقي) و بين اللغة (لسانيات النص) ؟ مبرزين من خلال الإجابة عن هذه التساؤلات أهمية المتلقي /المرسل إليه في خلق الانسجام الدلالي للخطابات والنصوص الأدبية، ومستظهرين ذلك التواشُج بين الدراسات اللغوية والأدبية والنقدية، منتهجين في كلّ ذلك منهجية التحليل والوصف.

2. المتلقي/المرسل إليه في الدراسات النقدية المعاصرة :

لقد أصبحت المناهج النقدية تعطي أهمية لشروط الإنتاج و أدوات التلقي، و هذا ما مهد لظهور

فرضيات القراءة بشكل مطّرد ، فبعد أن أصبحت ثلاثية (**المرسل –الرسالة –المرسل إليه**) أو (**المبدع – النص – المتلقي**)علامة دالة في عملية النقد،و منارة توجّه بوصلته، نشطت فرضيات القراءة وأصبحت تلك الفرضيات من ركائز البناء النقدي ،الّذي تطور حتى ظهر بالشروط المعرفية، لتخرج بنظرية التّلقي، التي تولي القارئ وعمليات الاستجابة والتّذوق والمشاركة والتواصل،الأهمية الكبرى في النقد. ويعدّ ما قام به نقاد مدرسة كونستانس الألمانية أهم ما جاء من مادّة وضعت نظريّة التلقي في سياقها النقدي التاريخي، لتصبح حلقة مهمّة تكمل سلسلة الاطّراد المعرفي في النّقد "، وقد يبدو أن ما قامت به مدرسة كونستانس من خلال ممثليها المشهورين **هانس روبيرت ياوس Hans Robert Jauss وفولفجانج إيزر Wolfgang Iser**، هو أنّها قد أعادت بناء تصور جديد لمفهوم العملية الإبداعية من حيث تكوّنها عبر الزّمن –التاريخ– و طرق اشتغال القراءة، ودور القارئ في إنتاج هذه العملية أو النص (بوحسن،1970،ص26)" وقد انطلق ياوس في عمله من قضية التأريخ الأدبي الذي يجب أن يُعاد النظر فيها، والتفسير الأدبي عنده يعتمد أوّلا على المتلقي، وطريقته في الكشف عن الأدبية فيه، فالعلاقات الأدبية ترسخ البعد الذاتي للنص لأن طريقة التلقي تختلف تبعا للمتلقي " وقد اجتهد ياوس في كشف دور القراءة و التلقي في تجسيد الأدبية وتحقيقها و من ثم كان تاريخ الأدب هو تاريخ القراءات (العمري ،2003،ص73).

أمّا فولفجانج إيزر فينطلق من **فعل القراءة** الذي يقوم به المتلقي عبر طريقة الرّبط بين المستويات النصيّة المختلفة بهدف **سدّ الثغرات** و**البياضات** والبحث عن **المسكوت عنه**، ويبدأ فعل القراءة من ركيزة أساسية هي مفهوم "القارئ الضمني " وهو قارئ موجود داخل النص، يمثل الحد الأدنى للوعي والتجربة الّتي يبنى عليها فعل القراءة كاملا. (فطوم ،2013،ص:35)، وقد أطلق ياوس على انتقال القراءة بين المستويات النصية مفهوم "وجهة النظر الجوالة "، وهي تكشف الطريقة التي يكون فيها القارئ حاضرا في النص، فعندما نقرأ نصا فإن مشكلنا الأول هو أن النص بكامله لا يمكن أن يدرك دفعة واحدة ، بل يدرك من خلال وجهة النظر المتحركة التي تتجول في النص الذي ينبغي أن تدركه هذه الوجهة في المراحل المختلفة و المتتابعة للقراءة . فالإدراك بالتّرابط لا يحدث إلا على مراحل على حدة تحتوي مظاهر الموضوع الذي ينبغي تشكيله ،لكن لا يمكن لأي منها أن تدعي أنها تمثله(برهم،200، ص ص39–40)

والحق أن القراءة (تلقي النصوص)قديمة في التعامل الأدبي وقد مورست تحت أشكال مختلفة، وذلك قبل أن تبدأ دعوات مدرسة كونستانس إليها ، لكن تلك الممارسة كانت دون تداول هذا المصطلح (القراءة) الذي نفخه الحداثيون على عهدنا هذا :تداولا صُراحا ، بل أصبح مفهوم القراءة يحتوي على مفاهيم عديدة و مسميات مختلفة تنضوي كلّها تحته ،فكأن "القراءة " في التقليد الأدبي المعاصر مفهوم جامع لكلّ الأنشطة الإبداعية والفكريّة التي تثمرها النصوص الأدبية الّتي نمارس عليها قراءة ما. (مرتاض،2003،ص15)، كما أنّه لم يعد النص الأدبي سواء بشعره أو نثره في عصرنا الحديث مجرّد

بستان وارف الظلال يقصده المرء طلبا للراحة والاستجمام، وإنّما أصبح همّا مؤرّقا،وأصبحت عملية قراءة النص عملية شاقة تحتاج إلى قارئ حذق مزوّد "بأسلحة الفن " كما قال الناقد الجزائري محمد مصايف :"قارئ لا يكتفي باستهلاك النص وإنّما يُساهم في عملية إنتاجه"، وكلّ هذا لاعتبارهم العمل الأدبي عملا مفتوحا على الذات القارئة.

وتحمل ثقافة المتلقي أهمية كبرى في الدراسات النقدية المعاصرة ،و ذلك كون نظرية التلقي ترتكز على أهمية إيصال المادّة الأدبية،وتقليبها على وجوهها لإدراك أبعادها الجمالية والمعرفية ،فللمتلقي غاية جمالية ومعرفية تشترك في تحصيلها الحواس والثقافة والتأمل والخيال ، والمتلقي يعيد بناء الأثر المعرفي في النص، ولكنه في الوقت ذاته يتذوق أبعاده الجمالية .

والمبدع بدوره بحاجة إلى ثراء ثقافي وخيالي يُغني نصّه بفعل التّلقي، وكذلك المتلقي يعبر عن أنه يعي ذاته ويعي الآخر ، فالتلقي حالة من التوازن الجمالي والثقافي بين المبدع والمتلقي والقراءة ليست ثابتة ولا نهائية ،بل تتبع المتلقي والعوامل المؤثرة في القراءة و تهتم بالنص وبالإمكانات المختزنة فيه، وبانفتاحه أو انغلاقه أمام القارئ(فطوم ،2013،ص:05) .

والنصّ نتاج الخيال، والقراءة اقتراءٌ لحيز هذا النص الذي نَجَلَهُ الخيال . و الخيال توهُّمٌ مجنَّحٌ . شارد شَامِسٌ . طافح غامر. سائح عائم يحلّق في كلّ فضاء . ولا يُعجزه أن يسبح في حرّ اليابسة . ويطير في أعماق الأرض، ويستقر في أعماق البحار...الخيال طليق . فكيف نستطيع أن نضع لهذا النتاج العجيب الشأن معايير صارمة تحكمه بإحكام وتُمسكه بحبال. أن تقرأ نصّا أدبيا أشبه بنظرك إلى وجه ناضر، بل لعلّ قراءة النص الأدبي أن تشبه تأمّل لوحة زيتية رسمتها ريشة فنان عبقري كلّما أعدت النظر إليها أوحت إليك بمعان جديدة ، وساقتك إلى مسكوتات وفجوات بين ثنايا النص، وكلّما أنطقتها توضّح لك شيء منه (مرتاض،2002 ،ص85).

وانطلاقا من هذه الرؤية، النص ليس منغلقا على ذاته كما هو في المفهوم البنيوي بل هو مفتوح على القارئ ، يدخله من أي زاوية يشاء، فينتج نصا جديدا فوق النص الأول، فالنص يكتمل بفعل القراءة فالنص على حدّ قول بول ريكور كان "يمتلك معنى واحدا (من وجهة نظر التفسير) أي علاقات داخلية أو بنية خاصّة ولكنه الآن مع التأويل أصبح يمتلك دلالة ما، أي أصبح إنجازا داخل الخطاب الخاص بالذّات القارئة(ريكور ،ص48)".

إن النص البعيد عن المتلقي وردود فعله لا ينتج عنه شيء ويظل عملا جامدا ويبقى في حاجة إلى فعل يتحقق به ويخرج به إلى الوجود ولا يتأتى ذلك إلا بفعل القراءة .

إنّ تطور النظريات الحديثة قد أبرز دور المتلقي كعنصر فعال في تناول النص وعملية التّحليل والتأويل والإدراك وملء الفراغات و التحقيق ...الخ ، ولعلّ انفتاح النقد الأدبي على الطروحات الحديثة سواء اللغوية منها أو البنيوية أو الحفرية هو ما ساعد في تفعيل دور هذا المتلقي /المرسل إليه . فعمل المتلقي في النص لا يقلّ أهمية عن عمل المؤلف الذي يمتلك النص أثناء عملية الكتابة .

.3.الانسجام الدّلالي في النصوص/الخطابات الأدبية :

يعد الانسجام النصي أو الترابط النصي على المستوى الدلالي، من أهم المعايير التي تثبت نصيّة النص/الخطاب، على مستوى بنيته العميقة، والذي يأتي في المرتبة الثانية بعد الاتساق النصّي على المستوى الشكلي (السطحي، اللغوي) . ولا يتحقق انسجام النص /الخطاب إلا بمجموعة من العلاقات والأدوات والتّي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: السياق، البنية الكلية،التأويل المحلي، مساهمة المتلقي /المرسل إليه .....الخ.

فليس النص تتابعا عشوائيا، ولا رصفا اعتباطيا لمجموعة من الكلمات و العبارات فقط ، وإنما هو نتاج مترابط متماسك ، ذو بنية مركبة ذات وحدة دلالية كلية شاملة تجسدها العلاقات النحوية التركيبية الكائنة بين جمله وقضاياه، وما يضمن للنص وحدته الاتصالية المتجانسة لمجموعة من العلاقات تنضوي تحت مفهوم واحد وإن تعددت المصطلحات الدّالة عليه ألا وهو مفهوم "الانسجام"(شبل،2007،ص184) ، فقد عرّفه فان دايك بقوله "الانسجام هو خاصية دلالية للخطاب تقوم على تأويل كل جملة الواحدة بعد الأخرى، لأنّ الخطاب يحمل دلالات مختلفة يسودها الغموض ، و المتلقي هو الّذي يزيح عنها ذلك الغموض من خلال ربطه معاني الجمل بعضها ببعض (صحة ،1987،ص87) ".

والمفهوم نفسه تقريبا نجده عند "هاليداي ورقيّة حسن " في تعريفهما للانسجام على أنه مفهوم دلالي يحيل إلى علاقات المدلول التي توجد داخل النص والتي تُعرف كنص، إنّ الانسجام يظهر عندما نؤول عنصرا في الخطاب يربطه بعنصر آخر والواحد يفترض الآخر.

إن الانسجام (cohérence) عند كلّ من "فان دايك "و "هاليداي و رقية حسن " هو عبارة عن مفهوم دلالي وهو عبارة كذلك عن أبنية عميقة تجريدية يشارك المتلقي في وجوده بشكل ضروري وبارز بخلاف الاتساق المتمثل في الأبنية النحوية الصغرى التي تظهر على المستوى السطحي للنص .

4 .أدوات انسجام النصوص /الخطابات الأدبية :

لقد أولى علماء لسانيات النصّ عناية قُصوى للانسجام النصّي ، فيذكرون أنّه خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كلّ جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى .

ونظرا لتعدد وتنوّع العلوم الّتي تجعل من النصّ /الخطاب محور دراسة لها ، فقد اختلفت الاتجاهات النظرية لهذه العلوم، فكلّ منها ينظر للنص/الخطاب وفق منظوره الذاتي ووجهته الخاصّة، ولهذا تعدّدت عمليات الانسجام وآلياته تبعا لتباين آراء العلماء، ممّا جعل الانسجام أعمّ من الاتساق(خطابي ،2006،ص:05)، وأهم الآليات التي أوردتها كتب اللسانيات النصيّة :

1-السياق (Context)

2-البنية الكلية (Topie of piscoure).

3-موضوع النص/الخطاب .

4-التغريض(The matisation).

5-ترتيب النص .
6-القياس .
7-العلاقات الدلالية .
8-مبدأ التأويل المحلّي .

لقد أهمل الكثير من اللسانيين دور المرسل إليه /المتلقي كآلية صريحة تُسهم بل تشكّل انسجام النص ، وخلق تماسكه الدّلالي، فللمرسل إليه دور جوهري في عملية التفسير وبناء معنى متماسك للنص لا يقل عن دور المنتج(بحيري ،1997،ص40)، الذي ينتج نصا بنسيج واحد. فهو الذي يحدث عنده المعنى ويُحدثه بإعطائه للملفوظ المعاني والدلالات الغائبة أو المغيّبة ، بعد قراءته للنصّ وربط العناصر البنائية ضمن علاقات جدلية تحيل إلى ما هو خارجها والكشف عن الدّلالات في عمليتي التّفكيك والتّركيب (رماني،ص224) .

ويعدّ ستيوارت هول(stuart hall) ممّن اهتموا بتحليل التّلقي، وعُني بمراحل نقل الرّسالة و هي المراحل الّتي تمر عبرها أي رسالة في طريقها من البداية حتى التّلقي والتّفسير، وهي تعرض للمبادئ الأساسية البنيوية الرمزية ، الّتي تفترض أن أيّة رسالة ذات معنى مبنية من رموز يكون لها معان دلالية وضمنية، تعتمد على الاختيارات التي تُصنعُ بواسطة "مفكك الرّموز " ، وقوة الرمزية الأساسية التي تعتمد معانيها بشكل كبير على طبيعة اللّغة ، والدلالات المرتبطة بتنسيق الإشارات والرّموز المشتركة بين المرسل (الرموز في النص /الخطاب)

والمتلقي (مفكك رموز النص /الخطاب)، وترتكز على قوّة النص المرمّز(encoded text) وترى أن موقع المعنى متضمن فيه بشكل قوي(مبروك،2002، ص24) .

فاللّغة أيا كان نوعها فمعناها و مبناها ينتجان عن التّفاعل بين النص /الخطاب ، و بين القارئ ذلك أن التّحليل ينتج نصا لا يحتوي فقط على المميّزات الموضوعية للنص/الخطاب و السياق بل يحتوي على مميزات تكتسبها الذّات المحلّلة (القارئ) بشكل تفاعلي إلى النص/الخطاب و السياق .

فالهدف من القراءة كما يرى "حسن بحيري " ليس فهم الكلمات المستخدمة فحسب وإنّما المشاركة في تبادل الفكر المتجسّد في المادة المقروءة(بحيري، ص126).

5.المتلقي /المرسل إليه و فعاليته في انسجام النصوص الأدبية :

بينما اهتم النقد الأدبي المعاصر بدور المتلقي /المرسل إليه في فهم النص الأدبي في إطار نظرية التّلقي ،أهملت اللّسانيات النصية دور المرسل إليه /المتلقي كآلية مهمّة و فعالة في خلق الانسجام الدلالي للخطابات الأدبية فلم تُشر إليه **صراحة** فقد ذكرت كتب اللسانيات النصيّة المعاصرة آليات انسجام الخطابات الأدبية كالآتي:

1)- السياق /المقام .
2)- البنية الكليّة.

3)- موضوع النص /الخطاب .
4)- التغريض.
5)- ترتيب النص /الخطاب .
6)- القياس .
7)- العلاقات الدلالية .
8)- مبدأ التأويل المحلي .

بينما لم نجد أحدا من الدارسين قد ذكر عنصر المرسل إليه **صراحة** و اعتباره آلية فعالة في خلق انسجام النصوص و ذلك من خلال:

أ-الخلفيات المعرفية في النص/الخطاب .

ب- تعبئة الفراغات في النص/الخطاب.

وهذه النقطة بالتحديد تجعل المتلقي /المرسل إليه محل شراكة بين النقد الأدبي واللسانيات النصية كونه يفهم النص ويسهم بفهمه هذا في تحقيقه تارة و تارة أُخرى يسعى إلى تحقيق تماسك النص من خلال ملء الفراغات والثغرات الموجودة في النص، فيحدث بذلك كمال النص وتمامه على يد قارئه ، فهو من يشرحه ويشرّحه وهو من يلملم شتات أفكاره ، فيضيف ما صمت عنه الكاتب أو ما سكت عنه قصدا أو من غير قصد.

إن اللسانيات النصية بعد تغير جهازها المفاهيمي من البحث في نحو الجملة إلى البحث في نحو النص، سعت جاهدة للتعامل مع هذا النص على أنّه وحدة كلية ،ولذلك كان المدخل إلى التحليل النصّي عن طريق إبراز الخواص التي تؤدّي إلى تماسكه ، وتعطي تفصيلا لمكوناته التّنظيمية النصيّة، إذ أنها تركّز في مستواها الأول على التّلاحم بين أجزاء النص وروابطه الدّاخلية، وهذا ما أدّى بكثير من الباحثين المهتمين بالدّراسات النصيّة إلى توجيه الأنظار نحو الآليات المهمّة في تماسك النصوص، والبحث فيها .

6. أهمية الانسجام الدلالي بمعيّة المرسل إليه /المتلقي :

أ – يرى كلّ من يول و براون أن الانسجام خاصيّة غير معطاة في النصّ ، بل يستكشفها القارئ من خلال استحضار تجاربه السابقة أي أنّ " المتلقى " هو الذي يسهم ويحكم على انسجام النص من عدمه ، وبمعنى آخر يكتمل النص /الخطاب و يتم انسجامه من فهم المرسل إليه/المتلقي الذي يقوم بتأويل النصّ فكلما كان النص قابلا للتأويل كلّما وجد قارئا حدقا يحقّق انسجامه .

ب- يعد الانسجام شرطا و قواما لتوفر خاصية النصيّة وشرطه الأساسي هو المرسل إليه /المتلقي .

ج – النص هو وحدة التبليغ والتبادل ويكتسب انسجامه و فصاحته من خلال هذا التبادل والتفاعل (صحة ،1987، ص: 87).

7. ملء الفراغات و الفجوات في النص/الخطاب:

عدّت جمالية التلقي تقنية "الفراغات " بنية ديناميكية في النصّ، لأنها المجال الخصب الذي تتولى القراءة إثراءه، في ضوء لعبة الضياء والظلام التي يثيرها النص في اعتماده الكشف والخفاء التصريح والسّكوت والإشارة والإهمال، لأن هذا الشيء المفقود والمسكوت عنه عن قصد أو عن غير قصد هو ما يحث القارئ على ملئه، ويجذب القارئ داخل الأحداث و يضطره إلى إضافة ما يفهم مما لم يُذكر، إنّ المعاني الضمنية والتي لم يُعبّر عنها بوضوح هي التي تعطي شكلا ووزنا للمعنى(كاظم،2003، ص: 24) .

لقد عدّ أيزر "الفراغات" مفاصل حقيقية للنص، لأنّها تفصل بين الخطوط العريضة والآفاق النصية وأنها في نفس الوقت تثير التخيّل لدى القارئ وعندما ترتبط الآفاق بالخطوط العريضة تختفي الفراغات . فالفراغات هي منطقة عمل القارئ داخل النص ، فالنص من منظور إيزر بنية مليئة بالفراغات تتطلب من القارئ ملئه، بل وتحفّزه على ذلك .إنها تشتغل كمحفّز أساسي على التواصل بل هي الّتي تحدث التواصل في عملية القراءة (فولفغانغ ،ص10).

والفراغات (les vides) التي يتركها المنتج للنص/الخطاب عن قصد أو عن غير قصد هي ما يعيق تماسك هذا المُنتج (النص)، مما يستدعي استجابة القارئ ، وتتجسد في شكل معان وموضوعات جمالية تضمن للنص التماسك والانسجام .

وهذا ما يبرز جليّا في تفسير القرآن الكريم بطرق مختلفة وأحيانا بمعان مختلفة حسب القارئ (المفسر) وطبيعة التفاعل بين القارئ والنص /الخطاب، وطبيعة الكفاءة التي يمتلكها هذا المتلقي وتجاربه المختلفة، فالوسائل المتاحة لقارئ النص القرآني كما يرى إبراهيم الفقي في صدر الإسلام غير الوسائل المتاحة لقارئ العصر الحالي (الفقي،2000، ص112)

وبهذا كله يكون المرسَل إليه /المتلقي هو الآخر يحتل مكانة هامّة في جعل النص /الخطاب منسجما ومتماسكا، كونه يحمل تجارب سابقة ومعارف خاصّة يعبئ بها البياضات والفجوات ومواقع اللاّ تحديد في النصوص/الخطابات لتكون نسيجا واحدا .

8الخلفيات المعرفية في النص /الخطاب :

إنّ القارئ حين يواجه النص/الخطاب لا يواجهه وهو خالي الوفاض، وإنما يستعين بتجاربه السّابقة بمعنى أنه لا يواجهه وهو غير مسلح بمعارف سابقة، باختلاف مصادرها ومشاربها، فالمعروف أنّ معالجته للنصّ المعاين المعتمد على ما تراكم لديه من معارف سابقة تجمعت لديه كقارئ متمرّس قادر على الاحتفاظ بالخطوط العريضة للنصوص و(التجارب)السابقة له قراءتها ومعالجتها. لنأخذ على سبيل المثال قارئا يواجه نصّا جاهليا (منسوبا إلى شاعر جاهلي) فالمفترض أنّ هذا القارئ له اطلاع سابق على مجموعة من النصوص الشّعريّة عموما، وعلى نصوص جاهلية خصوصا ، هذا بالإضافة إلى اطلاعه على تصنيفات النقد القديم للشعر الجاهلي إلى مديح و هجاء ورثاء ...الخ . ومواصفات كلّ غرض من هذه الأغراض، ثم على ترتيب الشعراء في طبقات أضف إلى هذا كله ما تراكم لدى القارئ

المعني من المعلومات المتعلقة بقضايا الشعر الجاهلي، ويحدث كذلك أن النص/الخطاب قد لا يحتاج إلى استحضار كلّ هذا الكم من المعلومات، مثلا قد يتطلب فقط استحضار واقعة بعينها أو حدث بعينه أو تجربة غرامية عاشها الشاعر(خطابي،ص ص 61-62) .

ومن أجل إبراز هذا الطابع المنظم حاول باحثون ينتمون إلى تخصّصات مختلفة تمثيل هذه المعرفة المخزونة في الذاكرة وبحثها بطريقة علمية تكمن من اكتشاف العمليات الذهنيّة التي يشغلها القارئ أثناء مواجهة النص/الخطاب. ويذهب هؤلاء الباحثون إلى أن (تمثيلات المعرفة هذه تتّسم بأنها منظّمة بطريقة ثابتة كوحدة تامّة من المعرفة الجاهزة في الذاكرة). إلى درجة أن رايسبيك يعتبر (الفهم عمليّة ذاكرية)، ومن ثمّ فإنّ (فهم النص /الخطاب يعدّ بالأساس عمليّة سحب للمعلومات من الذّاكرة وربطها مع الخطاب المواجه) (خطابي، ص62).

وقد ظهرت مفاهيم مشابهة جدّا وقريبة من هذا المفهوم، تصبّ في كيفية تنشيطها لعمليّة فهم النص/الخطاب والحديث عن الخلفيات المرجعيّة لنص من النصوص يشير في أذهاننا مصطلح التناص Intertext،الّذي قدّم أوّل مرة كمصطلح من قبل الناقدة البلغارية جوليا كريستيفا Julia kristiva ونجد "فيليب سولوس " F.soullers قد عرف التناص بقوله: " كلّ نص يقع في مفترق نصوص عدّة فيكون في آن واحد إعادة قراءة لها وامتداد وتكثيفا ونقلا وتعميقا "(رضا ،1960، ص483) و نجد نوام تشومسكي Noam Tchomsky يقول :"إنّ العمل الفني يدرك في علاقته بالأعمال الفنية الأخرى، وبالاستناد إلى التّرابطات التي تقيمها فيما بينها ، وليس النصّ المعارض وحده الّذي يبدع في توازن وتقابل مع نموذج معين ، بل إنّ كلّ عمل فني يبدع على هذا النّحو ". (تودوروف ،1987، ص 41) فالنصّ لا يحتفظ بإطاره الخاص والمعزول عن نصوص أخرى، والتي بدورها تشكّل الخلفية المعرفية للقارئ ، وفي هذه الحالة ينبغي على القارئ أن يصل إلى هذه النصوص حتى يتسنى له ملامسة الخلفية المعرفية للشاعر أو صاحب النص من جهة ثانية، ويحاول الاقتراب من ذاكرة النص/الخطاب التي تتمنّع عن هذا القارئ بين الظهور والاختفاء تريد بذلك البقاء في حيزها .

وعن كيفية استحضار القارئ للخلفيات المعرفية المخزّنة في ذهنه يقول محمد خطابي " لنفرض أن النص المراد معالجته هو معلقة طرفة بن العبد ،فالمفترض هو أن يستحضر القارئ علاقة الشّاعر بقبيلته ونوع الحياة التي كان يمارسها طرفة، وكذا العلاقة التي تربط الفرد بالقبيلة عموما ثمّ أخلاق القبيلة التي تقنن السلوك ولا تسمح بتجاوز حدود معينة ...الخ . مع إلغاء الأخبار المرتبطة بأيام العرب وصراعاتهم وحلّهم وترحالهم وتنقّلهم بين الغدران ...معنى هذا أنّ القارئ يختار من المخزون الهائل من المعلومات ما يتلاءم مع معلقة طرفة أو أجزاء منها وهذا العمل كلّه يتطلّب الدقّة وعدم العشوائية (خطابي،ص62). والقارئ أثناء ملئه لهذه الفراغات هو يقوم بإتمام ما نقُص في النص/الخطاب مما يوسّع في مساحة النص وهذا التوسّع هو ما يحقق الانسجام الدلالي للنص /الخطاب الأدبي.

9 - مبدأ التأويل المحلّي :

يهدف هذا المبدأ إلى تعيين عملية التأويل للنص من قبل المرسل إليه/المتلقي وضبطها حيث يضع بعض الحدود الّتي تؤطّر عمليّة التّأويل وذلك من خلال بعض المفاتيح في النص /الخطاب مثل : أسماء الأشخاص، ألفاظ الزمان والمكان .أي أن تدخّل المتلقي الّذي يعدّ من أهمّ الركائز في نظرية تحليل الخطاب ليست عمليّة عشوائية مطلقة، بل منظّمة بضوابط وقرائن .

ويتحقق الانسجام في النص/الخطاب بناء على مبدأ التأويل المحلي، من خلال اضطرار المتلقي إلى البحث عن المفاتيح و القرائن الموجهة للتلأويل في مختلف أجزاء النص/الخطاب(البطاشي،2013، ص161).

خاتمة:

ومما لا شكّ فيه ، فلقد أعادت نظريات القراءة الحديثة للمتلقي هيبته و قيمته ، فأصبح المتلقي عنصرا فعالا في خلق النصّ وتحقيقه من خلال ملء الفراغات والبياضات التي تركها المنتج في نصّه عن قصد أو عن غير قصد، وكذلك من خلال تأويلاته وإضافاته للنص/الخطاب، وقد أصبح للمتلقي دور لا يقل أهمية عن دور المنتج في خلق النص وضمان اتساقه وانسجامه، فالكاتب أو المبدع لن يبُوح بكلّ ما في داخله من أقوال ومشاعر وأحاسيس، بل يقول ما سيسمح له الموقف بقوله، ويترك الباقي للمتلقي بقصد منه أو بغير قصد، فالشاعر يعطينا نصّا فنيا انطولوجيا على حدّ تعبير رومان انغاردن بينما يقدّم المتلقي بعد تحقيقه للنص، نصا إبداعيا محقّقا بينما يقع المعنى الحقيقي بين هذا وذاك، وكلّ هذه المراحل الفطريّة الّتي يمر بها العمل الأدبي تقدّم في الأخير نصّا متسقا متماسكا ومنسجما بعد جمع شتاته وسداد ثغراته.ومن النتائج التي توصل إليها البحث :

–أصبح للمتلقي دورا هاما و فعالا في المعادلة النقدية وعاملا لا يمكن إغفال دوره في خلق انسجام النص دلاليا، وهذا بفضل نظريات القراءة والدراسات اللسانية الحديثة.

–إنّ هذه القراءة التي يُنجزها المرسل إليه/المتلقي تندرج ضمن المجال اللسانياتي أيضا ،بالرغم من أنها تذهب بالقراءة مذهبا تأويليا، وهنا تكمن العلاقة بين الأبحاث اللسانية والنقد الأدبي .

– للمرسل إليه دور جوهري في عملية التفسير وبناء معنى متماسك للنص لا يقل عن دور المنتج ، الذي ينتج نصا بنسيج واحد.فهو الذي يحدث عنده المعنى ويُحدثه بإعطائه للملفوظ المعاني والدلالات الغائبة أو المغيّبة ، بعد قراءته للنص وربط العناصر البنائية ضمن علاقات جدلية تحيل إلى ما هو خارجها والكشف عن الدلالات في عمليتي التفكيك والتركيب .

–إنّ الوسائل والآليات التي تضمن ترابط وانسجام الخطابات الأدبية دلاليا لا تقتصر على السياق وموضوع الخطاب وترتيبه والتغريض والقياس والعلاقات الدلالية فحسب. بل أيضا على دور المتلقي

/المرسل إليه ومدى قدرته على خلق انسجام النص بتعبئة الفراغات وبتأويلاته الغير متناهية .
فالمتلقي هو حلقة مهمة لا تساهم في ربط عُرى النص دلاليا وفقط، بل هو محل اهتمام الدراسات النقدية المعاصرة واللسانيات النصية في الوقت ذاته وهنا تكمن تلك اللحمة بين اللسانيات الحديثة والنقد.

قائمة المراجع:

– الأيوبي ياسين.(1982)، مذاهب الأدب معالم وانعكاسات الرمزية، ج2، المؤسسة الجامعية للدراسات بيروت،لبنان.

بحيري سعيد حسن.(1997)،علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات مكتب لبنان ناشرون، بيروت، لبنان

– برهم لطيفة.(2000)،"اتجاهات تلقي الشعر في النقد العربي القديم "مجلة علامات في النقد ،المجلد التاسع ،الجزء 35،الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان

– بوحسن أحمد.(1970)، نظرية التلقي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ،جامعة محمد الخامس،المملكة المغربية .

– البطاشي خليل بن ياسر.(2013)، الترابط النصّي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر و التّوزيع ،ط1.

– تودوروف.(1987)،الشّعرية، تر: شكري المبخوث ورجاء بن سلامة، دار توبقال الدار البيضاء، المغرب

– جاهمي آمنة.(2012/2011)،آليات الانسجام النصّي في خطب مختارة من مستدرك نهج البلاغة للهادي كاشف الغطاء جامعة باجي مختار عنابة ،الجزائر .

– خطابي محمد،(2006)، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ،ط1، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء،المغرب .

– رضا أحمد.(1960/1380م)، معجم متن اللّغة ،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت ، لبنان .

– رماني إبراهيم.(د.ت)، الغموض في الشعر العربي الحديث، دار هومة للنشر، الجزائر.

12– ريكور بول.(د.ت)، النص والتأويل،ع3 ترجمة :منصف عبد الحق ،العرب و الفكر العالمي ،.

13–صحة نعيمة. (2015/2014)،"الانسجام النصي من خلال :السياق ،التأويل المحلي ، مبدأ التشابه المنام الكبير ل : ركن الدين الوهراني (ت575م) أنموذجا رسالة ماجستير .جامعة قاصدي مرباح ورقلة ،الجزائر .

– العومري محمد.(1992)،"نظرية التلقي رؤية فلسفية أو منهج ؟"، مجلة دراسات سيميائية أدبية "ع6 ، الدار البيضاء، المغرب.

– الفقي صبحي إبراهيم.(2000)،علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ج1، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، القاهرة ،مصر ..

16-كاظم ناذر.(2003)،المقامات والتلقي بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمداني في النقد العربي الحديث ، لمؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت ..
17-مبروك مراد عبد الرحمان.(د.ت)، النظرية النقدية نظرية الاتصال الأدبي وتحليل الخطاب،ج4 ، الدار البيضاء،المغرب .
18-مرتاض عبد الملك.(2003)، نظرية القراءة تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية دار الغرب للنشر والتّوزيع، وهران ،الجزائر.